لنتصور معا مناضلا عنيدا تحمل كل أثار التعذيب لمدة ستة عشر يوما (بعض المعتقلين تحمل اضعاف هذه المدة) ولم يدل بشيء أي أن التعذيب لم يفت في عضده وتجاوزه بنجاح ، وبعد يوم استراحة ، يطلبه المحقق ويقول امامه بضع كلمات ، فيتناول ورقة وقلما ويدلي بما لديه .

ان تحليل هذه الظاهرة (بالفعل تكررت مئات المرات) قد يساعد على الفهم : التعذيب والاساليب الاخرى تملك اثرا تراكميا على الانسان ولكنه لايشكل نسقا واحدا بل عدة انساق متناقضة وخاصة أن المعتقل تجاوز ستة عشر يوما من التحقيق فبقدر ما يسعى المحقق لاحداث الهزة ، فان المعتقل وعبر الجولات المتعددة كان لديه ما يفرز صموده اللاحق استنادا الى صموده السابق وهذا تناقض داخلي في مضمون مرحلة التحقيق ووضع قطبي التناقض متفاوت في عملية التأثير المتبادل ، بعد سياق كهذا يتعرض المعتقل لمفاجأة تملك أثرا ترابطيا على الاثار النفسية السلبية الناتجة عن عمليات التحقيق وهذا يفسر استجابته الفورية . لقد عززت المفاجأة استعدادا خفيا أو طفيفا لدى المعتقل بالاعتراف . هذه هي المسألة وكان من الممكن وبكل بساطة ان لا يحدث ذلك بل تفعل المفاجأة فعلها في تعزيز الصمود وخلق الارتباطات بين جوانب التأثير النفسي الايجابي الذي نشأ عبر مرات الصمود السابقة في الجولات السابقة .

وبالتالي نحن أمام حالتين في الواقع تؤديان الى نتيجتين مختلفتين : مفاجآت تؤدي الى الضعف ، واخريات يعززن الصمود ، واذا كانت هاتان الحالتين واقعيتين ، فان حالة الضعف غير مبررة . فالمعتقل المعد سياسيا للنضال ، ومعد لمجابهة التحقيق واساليبه لن تفوته فرصة ادراك غاية المحقق من طرح هذه المفاجأة واذا كان صمد للتحقيق ستة عشر يوما فهذا اكبر دليل مادي له على قدرته على الصمود حتى النهاية ولذا فان ادلائه بالمعلومات

هو سقوط مشين . أن مئات الحوافز الايجابية تفعل فعلها في لحظة كهذه الى جانب الحوافز السلبية ، ولكن التصرف الواعي هو الذي يحسم المسألة فلم يحصل أن انهار احدهم بفعل الغريزة أو الدوافع الخفية . بل بعد حكم عقلاني هو خاطيء بالتأكيد .

(فلان اعترف علي ! أنه اعترف فقط عن نفسه وعبر فقط عن شخصيته المهزوزة اذا كان هذا الكلام صحيحا أما أنا فلن تهتز لي قناه وسأحمل بنفسي عبء الصمود ليس بوصفه تضحية بل بوصفه واجبا مقدسا . هذا ما يمكن ان يعتمل في نفسية المناضل الثوري بعد امتحانه بالمفاجآت المنغصة في أقبية التحقيق .. وليستمر الصراع حتى يأخذ مداه فانا جزء من شرف الحزب وعلي يقع عبء صيانة هذا الشرف) .

هذا هو الاطار العام لاسلوب الصدمات النفسية والمفاجآت القاسية : مفاجآ عاطفية ، سياسية ، معلومات هامة يعبر المحقق عن معرفته بها ، أفراد زملاء يقبلون بمشاركة المحقق مهامه ضد المناضل بالقدوم الى قبو التحقيق ونصحه بالاعتراف ، أو الاعتراف أمامه ، زميل في الزنزانة مدسوسا يتفاعل مع المناضل ويحصل منه على معلومات يقدمها للمحققين فيواجهونه بها وغير ذلك ضمن نفس الاطار ونفس الهدف الذي يتحرك خلاله المحقق للحصول على المعلومات والادانات وتوجيه الضربات بالتالي للحزب والثورة .

والمحقق لا يتبرع بتقديم المفاجآت اعتباطا ، بل هو يتبع اساليب عديدة ، ارهابية وتشكيكية وخلق اجواء نفسية معينة ثم يقدم العوبته ، ومع ذلك فان هذا النهج قابل للفشل أيضا فالذي تجاوز الاساليب السابقة فانه سيتجاوز أثر بضع كلمات . المهم ان المحقق يعتقد أن المعتقل سينهار اذا ما فاجأه بعض الشيء فيستل سلاحه ويضرب ولكن هذا السيف قد يكون من ورق وعلى الاكثر من خشب ، يخدش ولا يقتل ، فينطوي المحقق على